نعي جميل

قيل: لما حضرت جميلاً الوفاة، وهو في مصر، دعا برجل، وقال له: هل لك أن أعطيك كل ما أخلفه، على أن تفعل شيئاً أعهد به إليك؟ قال: نعم. قال: إذا مت، فخذ حلتي هذه، واعزلها جانباً، وكل شيء سواها لك؛ وارحل إلى رهط بثينة على ناقتي هذه، والبس حلتي هذه إذا وصلت، واشققها، ثم أعْلُ على شرف وصح بهذه الأبيات. فلما أتى الرجل وأنشد الأبيات، برزت بثينة، وقالت: يا هذا، إن كنت صادقاً فقد قتلتني؛ وإن كنت كاذباً فقد فضحتني. فقال: ما أنا إلا صادق. وأراها الحلة. فصاحت وصكت وجهها، فاجتمع نساء الحي يبكين معها، حتى صعقت، فمكثت مغشياً عليها ساعة، ثم قامت وقالت:

[الطويل]

وَإِنّ سَلوي عن جميل لساعة
مِنَ الدَّهْر، ما حانَتْ، ولا حانَ حَيْنُها[1]
سواء علينا، يا جميل بن معمر،
إذا مِتّ، بأْساء الحياةِ وَلِينُها

وهذه أبيات جميل ينعى بها نفسه: [الكامل]

صدَعَ النَّعِيُّ، وما كنى بجَميلِ،
وثَوَى بمصرَ ثَواءَ غيرِ قَفُولِ[2]

(١) ورد البيتان في الأغاني ٨: ١٥٥.
(٢) صَدَعَ: أطاع فنطق بالحقّ والصدق. كنّى: ستر وأخفى. ثوى: أقام في المكان غير قفول: لا يرجع ولا يعود.

ولـقـد أجُـرُّ الـذيـلَ فـي وادي الـقُـرى،
نَـشـوانَ، بـيـنَ مَـزارِعٍ ونَـخِـيـلِ[١]
بـكـرَ الـنّـعـيُّ بـفـارِسٍ ذي هِـمّـةٍ،
بَـطَـلٍ، إذا حُـمّ الـلّـقـاءُ، مُـذيـلِ[٢]
قُـومـي، بـثـيـنـةُ، فـانـدُبـي بـعـويـلِ،
وابـكـي خـلـيـلَـكِ دونَ كـلّ خـلـيـلِ!

(١) أجُرُّ الذيل: أتبختر في مشيتي تيهاً.
وردت الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة في الأغاني ٨: ١٥٤.
(٢) حُمّ اللِّقاء: تحتّم. مُذيل: مُهين للعدوّ.